

## المدينة في شعر مزيد الحلي

### دراسة نقدية

م.د. عبادي عبد العباس حمود الزياي

الكلية التربوية المفتوحة/ النجف الأشرف

**Al-Madina in the Poetry of Mizyad Al-Hilli**

**A Critical Study**

**Lect. Dr. Ibadi Abdul Abbas Hmood Al-Zayadi**

**The Open Educational College / Al-Najaf Al-Ashraf**

#### Abstract

Arab poetry remains in general and in Iraq, especially an immortal travel of the books of the heritage of this glorious nation, as a result of the manifestations of the original Arab genius, and after I read the themes of the blessed symposium, which focused on the heritage of ancient ornaments I start to my imagination to study poet of Hilla forgotten most of the researchers The poetry and the introduction of the spectrum, and the excerpt of the journey and the late in some of his poems, inspired by the meanings of life at the time, referring to his adventures, and Madha Al The house of the Prophet (PBUH) in most of his poetry is very much mentioned in his method of jurisprudence or religious, which is characterized by Ismaili orientation, and is proud and proud of himself and his family and tribe; and a traitor in the arts of rhetoric such as grazing, The poet Muzid al-Hali, one of the most prominent poets of the city of Hilla in the sixth century AH, which kept the virtual library in Damascus a copy of his manuscript, which was the number of papers (17) paper, and then achieved the Diwan by Dr. Tarim and printed and published by the House of Lights in Beirut In 1998 (9263) and the date of its registration on 9/12/1426 AH; for this reason, I chose a title for my research (the city in the poetry of the most precious jewelery). The research began with the introduction of the introduction to explain the methodology of research and its main themes and divisions that ended the search, and then came the first section to talk about the life of more and the themes of poetry main; and went the second section to see the impact of the city of Hilla in the poetry of more; More attention to Iraqi cities except Hilla and other cities in his poetry, w Concluded research findings of the researcher. God grants success.

#### المقدمة:

يبقى الشعر العربي عامة وفي العراق خاصة سفرا خالدا من أسفار تراث هذه الأمة المجيدة، نتيجة لما حواه من مظاهر النبوغ العربي الأصيل، وبعد أن قرأت محاور الندوة المباركة التي ركزت على التراث الحلي العريق تبادر إلى مخيلتي أن أدرس شاعراً من الحلة نسي من أغلب الباحثين ولم يلتفتوا إلى مضامين شعره التي تناولت تاريخ مدينة الحلة وما دار فيها آنذاك مضمناً شعره معظم الفنون الشعرية كالمقدمات الغزلية، والطللية، والخرمية، ومقدمة الطيف، وذاكراً الرحلة والراحلة في بعض أشعاره، مستلهما معاني الحياة آنذاك متطرقاً إلى مغامراته الغزلية، ومادحاً آل بيت الرسول (ص) في أغلب أشعاره مسهباً كثيراً في ذكره منهجه الفقهي أو الديني الذي اتسم بالتوجه الاسماعيلي، وذاكراً ومفتخراً بنفسه وأهله وقبيلته؛ وخائضاً في فنون البلاغة كالسجع والجناس والطباق والمقابلة، والتشبيه والاستعارة؛ وملتمزاً ببناء القصيدة وسائراً على منهج عمود الشعر الذي صنفه المرزوقي، ألا وهو الشاعر مزيد الحلي وهو أحد أبرز شعراء مدينة الحلة في القرن السادس الهجري التي احتفظت المكتبة الظاهرية في دمشق بنسخة من مخطوطته التي كان عدد أوراقها (١٧) ورقة، ثم حُقق الديوان من قبل د. عارف تامر وقامت بطبعه ونشره دار الأضواء في بيروت سنة ١٩٩٨م؛ أما من حيث توفر طبعاته في العراق، فقد توفرت نسخة واحدة في مكتبة الروضة الحسينية المطهرة برقم (٩٢٦٣) وتاريخ تسجيلها في ٩/ ١٢/ ١٤٢٦ هجرية؛ لذلك، كلفه، اخترت عنواناً لبحثي (المدينة في شعر مزيد الحلي). دراسة نقدية، وقسمت البحث إلى المحاور الآتية فقد بدأ البحث بمقدمة شرحت فيها منهج البحث ومحاوره الرئيسة والتقسيمات التي انتهى إليها البحث، ومن ثم جاء المبحث الأول ليتحدث عن

حياة مزيد وموضوعات شعره الرئيسية ؛ وذهب المبحث الثاني ليرى أثر مدينة الحلة في شعر مزيد ؛ ثم انبرى المبحث الثالث ليدقق عن التفات مزيد لمدن عراقية سوى الحلة والمدن الأخرى في شعره، ثم اختتم البحث بالنتائج التي توصل إليها الباحث. والله ولي التوفيق.

### المبحث الأول: حياة مزيد وموضوعات شعره

اسمه:

هو الأمير مَزِيد بن علي بن دبب بن منصور<sup>(١)</sup> وقيل مَزِيد بن صفوان بن الحسن<sup>(٢)</sup> بن منصور بن دبب بن علي بن مزيد بن مرثد بن زنجي بن ريان بن عدني ابن عنور وقيل ريان بن عنور بن عدي بن جلد بن حي بن عمرو بن أبي المظفار مالك بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة بن سعد بن سواءة بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان<sup>(٣)</sup>.

ذكر اسمه في شعره:

تتبه بعض الأدباء لديمومة حياتهم بعد الممات، وأخذوا في الحساب تلاعب بعض المتلاعبين فيما يرد من أخبار تضلل القارئ بوقت ليس للشاعر أو الأديب وجوداً في الحياة فينفي أو يثبت تلك المعلومة، وهذا ما ذهب إليه شاعرنا، مسجلاً اسمه في شعره،

بقوله<sup>(٤)</sup>:

(الكامل)

يَا لَأَيْمِي فِي حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ كَيْفَ الْمَلَأُ وَفَضْلُهُمْ مَوْجُودُ  
أَيُّعُودُ مَزِيدُ وَيَكُ عَمَّا قَالَهُ كَلًّا وَلَكِنَّ هَلْ لِدَاكَ مَزِيدُ  
قَوْمٌ هُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ وَسَيَلْتَنِي إِذْ حُبُّهُمْ لِي طَارِفٌ وَتَلِيْدُ  
أَيُّعُودُ مَزِيدُ فَضَّلَ آلَ مُحَمَّدٍ هَيْهَاتَ أَنْ يَخْصِي التُّرَابُ عَدِيدُ

فالشاعر في هذه الأبيات قد جسد حبه لآل بيت الرسول(ص)، ونفى أن يكون لأي شخص مقدره في أزاحته عما آمن به من وجوب حبهم وطاعتهم، وهنا جاء ذكر اسمه ليبقى شاهداً تاريخياً على نهجه وتوجهه الديني والمذهبي وهو المذهب الاسماعيلي.

وفي قصيدته الميمية التي تغنى بها بحب آل البيت، كما هو دينه دائماً في ذكر صفاتهم ومدحهم، تطرق لذكر اسمه؛ بقوله<sup>(٥)</sup>:

(المتقارب)

وَمَزِيدُ يَرْجُو لِقَاكُمْ عَدَاً بِيَوْمٍ يَكُونُ الْوَرَى بِأَزْدِحَامِ

وبهذا يعدُّ الشاعر أنَّ لا قيمة لنفسه ولا قدر لها إلا بوقوف آل بيت الرسول معه وهم من ينقذه في يوم القيامة الذي كنى عنه

بيوم(الازدحام). وأيضاً جاء ذكر اسمه إلى جانب تطرقه إلى أبيه وابنه، بقوله<sup>(٦)</sup>:

(السريع)

حَلَفْتُ بِالْأَبِ وَالْإِبْنِ مَعَاً ثَلَاثَةً كُنَّا عَلَى مَوْعِدِ  
إِنِّي لِأَشْتَأْفُكَ يَا سَيِّدِي كَالْمَاءِ يَشْتَأْقُ إِلَيْهِ الصَّدي  
بِاسِ يَدِي قُلْتُ لَهُ بَسْ فَمَيِّ إِنَّ فَمِي أَوْلَى بِهِ مِنْ يَدِي  
قَالَ مَنْ الْجَائِرُ فِي حُكْمِهِ قُلْتُ الَّذِي جَارَ عَلَى مَزِيدِ  
قَالَ فَهَلْ تَعْشَقُ غَيْرِي إِذَا أَوْ تُوْرِدُ الظَّمَانَ مِنْ مَوْرِدِي

(١) ديوان مزيد الحلبي الأسدي: ٦.

(٢) الأعلام: الزركلي: (٧/ ٢١٢).

(٣) بغية الطلب: ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار: (٧/ ٣٤٧٨).

(٤) الديوان: ٩٨.

(٥) الديوان: ١١٤.

(٦) الديوان: ١١٠.

وهنا يعدُّ الشاعر ممن أكد ولاءه وحبّه مدعماً بما يحيط به من أسرة كأبيه وابنه، متأثراً بما جرى عليه من تعسف ومطاردة أدت به إلى الرحيل عن مدينته الحلة إلى مدينة مصياف، فالحسرة والألم بارزة حتى في أشعاره الغزلية التي أظهرت تحسراً وتوجعاً، وجاءت فيها إشارة إلى من غدروا به في السياسة فيحذر الحبيبة من أن تتخذ المعيار ذاته في التعامل معه. أما في مجال ذكره لأسرته وقومه فجاءت هذه الأبيات التي تغنى بها مفتخراً، بقوله<sup>(١)</sup>:

(الخفيف)

يَا لَقَوْمِي مِنْ آلِ مَزِيدٍ مَالِي لَأُزْرِي لِي مَخِيماً فِي قِبَابِ  
أَنْتُمْ خَيْرٌ مَنْ أُقِيمُ عَلَيْهِ عَمَداً مُشْرِقاً عَلَى أَطْنَابِ  
إِنْ سَطَا الْخَطْبُ كُنْتُمْ مَاءَ مُزْنٍ أَوْ بَدَأَ الْحَرْبُ كُنْتُمْ أَسَدَ غَابِ  
رُمْتُ صَبْرًا عَنْكُمْ فَأَعُوزُنِي الصَّبْرُ فَهَلْ لِي الْيُكْمُ مِنْ إِيَابِ

فالشاعر استجد بقومه بوقت لا يجد له عوناً غيرهم، لكنه حمل همّاً خفياً جسد ما يعانیه ورسوم صورة لقومه في موقف خذلان، إذ لم يسعفه حين أعوزته الأيام لما كان ينتظره منهم، وكفى عن موقفهم المفترض هذا الذي تمنى أنه يكون مسانداً له بقوله (لا أرى مخيماً في قباب) فقد جعل من نفسه صاحب القباب لأنه أمير ومن أسرة شهد لها بالفخر وتولى الأمور الجسام.

ميلاده، ووفاته:

ولد في مدينة الحلة التي كان يطلق عليها آنذاك بالجامعين في سنة (533) هجرية التي توافقت مع سنة (1140) ميلادية، ثم قدم إلى مدينة مصياف في بلاد الشام بعد أن تعرض لمضايقات أفصح عنها شعره سنة (563) هجرية، ثم توفي هناك سنة (592) هجرية، أو سنة (1199)، ودفن في جبل "القاهر" الواقع على بعد (5) أميال من مدينة مصياف<sup>(٢)</sup>.  
تأثره بشخصية سنان راشد الدين<sup>(٣)</sup>:

ارتبطت حياة شاعرنا بشخص اسمه سنان راشد الدين، عاصره ولادة ووفاة وسكنا<sup>(٤)</sup>، وتأثر به إلى حد لا يوصف، وقد قال فيه شعراً كثيراً، فقد جاء في شعره أنه لا يهتم للغيد وجمالها بل يشغل فكره بما ألهاه عنه وهو سنان، بقوله<sup>(٥)</sup>: (الخفيف)

دَعْ هَوَى الْغَيْدِ وَاعْتَصِمْ بِكِرَامِ لَأُزْرُونَ الْحَيَاةَ يَوْمًا عَبُوسًا  
وَتَمَسِّكَ بِصَاحِبِ الْوَقْتِ وَأَطْلُبْ مَا تَمَسَّكَتْ بِأَيْهِ الْمَحْرُوسَا  
اسْمُهُ الْكَلْبِيَا<sup>(٦)</sup> وَأَمَّا سِنَانُ فَهُوَ حَدٌّ يَهْرُ فِينَا النَّفُوسَا  
هُوَ ابْنُ الْبِتُولِ حَقًّا وَصِدْقًا وَابْنُ مَنْ كَانَ لِلْوَرَى نَامُوسَا  
يَا ابْنَ مَنْ أَوْلُ اسْمِهِ نَبْعُ مَاءٍ ظَاهِرٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَائِبًا مَطْمُوسَا

فالشاعر يدعو لترك لهو الدنيا وانشغال البعض بجمال النساء ولاسيما منهن الغيد، والالتجاء إلى من أشار إليه ووصفه (بصاحب الوقت)، ودعا للتمسك بنهجه والسير على منواله، ذاكراً ما لقب به (الكيا)، ومشدداً على اسمه (سنان)، وقد أعاد أصوله التأريخية وأوصل نسبه إلى السيدة فاطمة الزهراء (ع)، مذكراً بما اتسم به من سجايا أصبحت للورى مفتخراً. وقال فيه أيضاً<sup>(٧)</sup>:

(الكامل)

يَا رَاشِدَ الدِّينِ الذِّي أَرَشَدْتَهُ فَيْكَ الْخَلَائِقُ بِالزَّمَانِ الْحَاضِرِ

(١) الديوان: ٦٨.

(٢) بنظر الديوان: ٧.

(٣) سنان بن سلمان بن محمد أبو الحسن راشد الدين البصري كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة الزنارية كان أديباً فاضلاً عارفاً بالفلسفة وشيئاً من الكلام والشعر والأخبار (ت ٥٨٩هـ). ينظر: الوافي بالوفيات-الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط: (٢٨٢ / ١٥).

(٤) بنظر الديوان: ٩.

(٥) الديوان: ١١٨.

(٦) مُحَمَّدُ بْنُ صَبَّاحٍ، الملقب ب(الكيا) أحد أمراء الدولة الإسماعيلية. ينظر: سير أعلام النبلاء: ابن قايماز الذهبي: (٢١ / ١٨٧).

(٧) الديوان: ٩٣.

فَاغْفِرْ فَأَنْتَ لَنَا مُدٌّ تَقْضُلًا لِلْمُسْتَمَدِّ مِنَ الْعَزِيزِ الْغَافِرِ

ووله قصيدة كاملة يمدح فيها سنان، منها هذه الأبيات التي يقول فيها<sup>(١)</sup>: (المتقارب)

فَيَا رَاشِدَ السِّدِّينِ يَا سَيِّدِي وَأَنْتَ الْإِمَامُ وَبَدْرُ التَّمَامِ  
وَأَنْتَ الَّذِي كُنْتَ أَرْشَدْتَنَا وَأَنْقَذْتَنَا مِنْ طَرِيقِ الظُّلَامِ  
وَأَنْتَ حَقِيقَةُ هَذَا الْمِثَالِ وَبَيْتِكَ زَمَرُ ثُمَّ الْمَقَامِ  
وَأَنْتَ الصَّلَاةُ إِمَامُ الْهُدَى وَأَنْتَ الزَّكَاةُ وَأَنْتَ الصِّيَامِ  
وَمَزِيدٌ يَرْجُو لِقَاكُمْ غَدًا بِيَوْمِ يَكُونُ الْوَرَى بَارِزِحَامِ

واضح تعلق الشاعر بهذا الشخص الذي أوجد تغييرات كبيرة في حياته وحياة المجتمع آنذاك، ومنها ما ذكره الصفدي بقوله:

(أَحَلَّ لِقَوْمِهِ وَطَهُ الْمَحْرَمَاتِ مِنْ أَمَهَاتِهِمْ وَأَخَوَاتِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَأَسْقَطَ عَنْهُمْ صَوْمَ رَمَضَانَ)<sup>(٢)</sup>

موضوعاته شعره:

شعر مزيد على قلته لا ينضب نبعه، فهو لا يهجر رياض الحب والوداد، ولا ينفض يده من أقذاح الصباية، ولا يتعب فكلمة لاح له بارق أمل جديد عاوده الحنين إلى وطنه، ومعتقده فقد كتب أشعاره في مختلف الموضوعات، فتحدث عن نفسه وعن أهله وقبيلته وأكثر من مدح آل البيت، وكتب شعرا في الغزل والمقدمات كان لها نصيب كبير<sup>(٣)</sup>. ومن أهم تلك الموضوعات الآتي:

### 1- مدح آل البيت (ع):

ولما كانت للشعر هذه المكانة ولاسيما المدح، في البيئة العربية، إذ رفعه الناس عامة والشعراء خاصة إلى أعلى المراتب وقدره حق قدره، فقد عرف الشاعر موضعه من المجتمع وأدرك أثر مدائحه في الممدوحين<sup>(٤)</sup>، فراح لمدح الأمراء والخلفاء ولاسيما في العصر الأموي وقد يكون المدح صادقا أو متملقا؛ لكن شاعرنا ذهب في اتجاه آخر ألا وهو مدح المعتقد، ومن كان السبب في ذلك

المعتقد؛ فتجسد له في أبياته هذه مدح آل بيت الرسول (ع) ولاسيما المهدي المنتظر، بقوله<sup>(٥)</sup>: (البيسط)

وَ لُدُّ بِهِ مُوقِنًا وَأَفْصَدُ لِحَبِيرَتِهِ تَتَجُو بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ  
فَحَيْنَ يَمَمْتُ سَيْرِي نَحْوَهُ وَبَدَا فَرَدْنِي الْبَابُ بَعْدَ الْكَدِّ وَالنَّعْبِ  
دَاعِي الدُّعَاةِ وَمَهْدِي النَّاهِجِينَ إِلَيَّ سُبُلِ الرَّشَادِ بِلَا شَكٍّ وَلَا كَذِبِ  
وَعَدْتُ أَفْصَدُ مَنْ لَوْلَاهُ مَا عَرَفْتُ سُبُلَ الْهُدَى وَأَقْتَدِي مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ  
قَالَ الْإِمَامُ حَدِيثًا صَحَّ وَأَرْدَهُ عَنِ النَّقَاتِ وَأَهْلِ الثُّورِ وَالْحُجْبِ  
لَوْ خَلَّتِ الْأَرْضُ يَوْمًا مِنْ مُنْتَبِهَا لَمَادَتْ الْأَرْضُ وَالْأَقْلَاكُ بِالْقَطْبِ  
وَقَالَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِهِ مَاتَ كَالْمَجْهُولِ فِي الْحَقْبِ  
لَوْلَا الدَّلِيلُ لَمَا كَانَ الطَّرِيقُ بِهِ عِلْمًا وَلَا كَانَ ذَا نُطْقٍ وَذَا أَدَبِ

جاء ذكر المهدي ومدحه في هذه الأبيات ليعبر عن وجهة نظر الشاعر، وإيمانه بالاتجاه الاسماعيلي الذي قارب وجهة نظر

متخذي المذهب الامامي في العصر الحديث، وأكد على الحديث المشهور بين دعاة الإمام (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)<sup>(٦)</sup>. وقد مدح زعماء الدولة المزيديّة والمتصدين لزعامة المذهب الاسماعيلي ذاكرا آل البيت، بقوله<sup>(٧)</sup>:

(١) الديوان: ١١٤.  
(٢) الوافي بالوفيات-الصفدي: (١٥/ ٢٨٢).  
(٣) ينظر الديوان: ١٨.  
(٤) ينظر: المدح في الشعر الجاهلي رؤية جديدة - د.السعيد حامد شوارب: ٣١.  
(٥) الديوان: ٦٥.  
(٦) الملل والنحل: الشهرستاني: (١/ ١٩٢).  
(٧) الديوان: ٨٣.

## (الخفيف)

جُدُّه المصطفى أبوه عليٌّ مرتضى الحق أمه الزهراء  
وله المشعران قصداً لمن حجَّ ولئى والركن والبطحاء

واستمر الشاعر بأسلوبه الدائم في ذكر آل البيت مازجا سيرتهم العطرة مع آل إسماعيل الذين يسير على نهجهم ويناصروهم بكل قدراته.

## 2- أثر القرآن الكريم في شعره:

حينما نزل القرآن الكريم باللسان العربي المبين، وتمثلت فيه الصور البيانية، وجسد الأسلوب العربي بأجمل صياغة، مما جعل فصحاء العرب وبلغاهم يرون فيه أنه يمثل جوهر فطرتهم، وأفكارهم في اللغة والبيان، لذلك أدركوا منذ أن استمعوا إلى آياته البيّنات في الوهلة الأولى، أنه فاق المستوى الذي عرفوه في ألفاظهم وأشعارهم وخطبهم، فكانوا أول من شهد بإعجازه. وهذا ما حفز تلك الروح الوثابة في شاعرنا المتطلع للتفوق الأدبي على أقرانه في الحقبة المظلمة التي عاشها في نهاية القرن السادس الهجري، فقال متأثراً بأسلوب القرآن الكريم<sup>(١)</sup>:

فَحَلَّنِي دَارَهُ مِنْ فَوْقِ مَرْبِيَةٍ وَلَا حَ لِي التَّيْنُ وَالزَّيْتُونُ وَالْبَلْدُ

فالأثر القرآني واضح لأن الرجل متوجه توجها دينيا في أغلب أشعاره على الرغم من اختلافه مع كثير من مناهج المسلمين من المذاهب الأخرى، وجاء هذا البيت ليجسد قوله تعالى من سورة التين ((وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ))<sup>(٢)</sup>. ومما جاء متأثراً بألفاظ القرآن الكريم، ومازجا ذلك بموالاة آل البيت الكرام (ع)؛ قوله<sup>(٣)</sup>:

## (الطويل)

يُوالِي وِلَاةَ الْحَقِّ آلَ مُحَمَّدٍ فَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
هُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى هُمُ الرُّكْنُ وَالصَّفَا هُمُ الْحَجُّ وَالْمَسْعَى هُمُ بَنُو رَمَزِمٍ  
هُمُ شَجَرَةُ الطُّوبَى<sup>(٤)</sup> وَسِدْرَةُ الْمُنتَهَى هُمُ جَنَّةُ الْمَأْوَى وَنَارٌ لِمُجْرِمٍ  
هُمُ التَّيْنُ وَالزَّيْتُونُ وَالشَّمْسُ وَالضُّحَى وَطَهَ وَمَا قَدْ جَاءَ فِي فَضْلِ آدَمِ  
هُمُ مَرْجُ الْبَحْرَيْنِ يُخْرِجُ مِنْهُمَا قَلَانِدُ دُرٌّ لِلْأَنَامِ مُنْظَمٌ  
هُمُ ك ه يا عَيْنِ ص وَمَا أَتَى مِنْ الْآيِ فِي مِيلَادِ عَيْسَى بِنِ مَرْيَمِ  
هُمُ حُجَّةُ الرَّحْمَنِ بَيْنَ عِبَادِهِ هُمُ الْحَبْلُ حَبْلُ اللَّهِ لَمْ يَتَّصِرْ

تأثر الشاعر بألفاظ القرآن الكريم واضحة للمتلقي في هذا النص أو غيره، فقد ورد عنده لفظ على سبيل المثال لا الحصر (العروة الوثقى) الذي جاء مجسداً لقوله تعالى ((وَيَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ قَدَدٍ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى))<sup>(٥)</sup>؛ ولم يكتف بذلك بل وردت في النص نفسه ألفاظاً قرآنية أخرى؛ ك(الصفا، سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، جنة المأوى، والتين والزيتون، والشمس، والضحى، وطه، مَرْجُ الْبَحْرَيْنِ، ك ه يا عين ص)<sup>(٦)</sup>. وكلها ألفاظ اقتبست من القرآن الكريم.

(١) الديوان: ٧٤.

(٢) التين: ١ - ٣.

(٣) الديوان: ٦١.

(٤) قيل أن طوبى: شجرة من الجنة. ينظر: شمس العلوم: ابن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ): (٧/ ٤١٨٥).

(٥) البقرة: ٢٥٦.

(٦) ينظر: (البقرة: ١٥٨، النجم: ١٤، التين: ١، الشمس: ١، طه: ١، الرحمن: ١٩، مريم: ١).

## ٣- مقدمات قصائده:

تشكل مقدمة القصيدة البداية التي تقود إلى باقي أجزاء القصيدة من حيث الجانب الشكلي، أما من الجانب الموضوعي فقد حملت مقدمات القصائد العديد من المعاني الذاتية والفكرية للشعراء وعصورهم. وقد اهتم النقاد والدارسون "قدماء ومعاصرون" من عرب ومستشرقين بمقدمات القصائد بالدراسة، والتحليل والتعليل.

في حين وجد الناظر في ديوان الشعر العربي ولاسيما في العصر الجاهلي بعضاً من القصائد بلا مقدمات، وقد شغل هذا الموضوع الباحثين كثيراً، أما شاعرنا الذي عاش حياته في نهاية العصر العباسي، عاد وبقوة لهذه المقدمات ومما أحصيته له المقدمات الآتية.

## أ- المقدمة الطللية:

أكثر الشعراء من استعمال المقدمات الطللية، مما جعل عناية النقاد بها واضحة في الدرس النقدي، فتناولوها بالتفسير والتحليل في ضوء المناهج النقدية القديمة والحديثة، وعللوا تحديد الشعراء الأماكن خوفاً من درسها. وبيّنوا أنّ تنقل الإنسان الجاهلي كان سبباً لظهور المقدمات الطللية، فأكدوا أنّ تنقل القبيلة من مكان لآخر، وإقفار الديار وثورة الذكريات التي تختلج نفس الشاعر عند مروره الديار كانت البداية الطبيعية لظهور المقدمة الطللية في الشعر العربي. وفي هذا الجانب اقتفى شاعرنا أثر الشعراء الجاهليين ببيكائه على الطلل المحيل، بقوله<sup>(١)</sup>: (الكامل)

لَأُتَدَبُّ الطَّلَّ الْمَحِيلَ تَأْوَهُاً هَيْهَاتُ تَبْلِغُهُ وَدَمْعُكَ سَاكِبُ  
وَصَلُّ الْكِرَامِ بِأَبْنَةِ الْكَرَمِ الَّتِي هَرَقْتُ وَلَوْ نَطَقْتُ لَقَالَتْ كَاذِبُ

فالشاعر سار على نهج الشاعر الجاهلي، وذكر الطلل المحيل، ويبدو أن الشاعر يعاني من كثرة الترحال والتنقل، ولاسيما ما أبرزه شعره من تحسر وتوجع وعدم استقرار نتيجة لتبعية المذهب الاسماعيلي الذي طُرد بسببه في العراق فتحول إلى مدينة مصياف. وبالصدد ذاته قال مزيد في الطلل<sup>(٢)</sup>:

## (الطويل)

سَلِ الرَّبْعِ<sup>(٣)</sup> كَمْ مِنْ لَأَجْفِ<sup>(٤)</sup> بَلْ دَمْعُهُ تَرَاهُ فَهَلْ يَشْفِي مِنْ الدَّمْعِ لَأَهْفُ  
وَمَنْ يَشْكُ صَرْفَ الْبَيْنِ صُمًّا دَوَارِسًا يَمُتُّ وَالْجَوَى مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ لَأَجْفُ  
دِيَارٌ عَفَّتْ مِنْهَا الرُّسُومُ فَأَصْبَحَتْ عَوَاطِلَ تُذَرِّيهِمَا الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ

تتبع شاعرنا الأثر الجاهلي في كثير من المواضع، وهذا ما تحقق مصداقه في هذا النص الذي تحدث فيه عن الربيع وهي تسمية جاهلية أفرد له فصلا صاحب المنازل والديار وأتى بشواهد شعرية دلت على معنى لفظة (ربيع)<sup>(٥)</sup>، مبيناً فيها ارتباط العربي بوطنه الصغير ألا وهو المنزل الشخصي ولاسيما منزل الحبيبة التي رحلت في ليلة وتركت ربيعها فارغا يشكو الانداس والهجر.

## ب- المقدمة الغزلية:

وهي المقدمات التي وصف فيها الشعراء المرأة وصفاً حسياً ومعنوياً. وعددها ليس بالقليل؛ لأنّها مرتبطة بالواقع الاجتماعي والنفسي للشاعر. ويؤدي الحديث عن الطلل غالباً إلى الحديث عن الغزل، وهذا ما يؤكد على الصلة الوثيقة بين الطلل والغزل. ويرى د.حسين عطوان أن القصائد التي تضم مقدمات غزلية هي قصائد طويلة إلى حد ما؛ يبيث في صدورهم الكثرة المطلقة من أحزانه وآلامه ويظهر حسرته ولوعته على فراق الحبيب ويشكو شكايته تلفت نظر المتلقي مرة من طول ليله وأرقه، حتى لكأنّ نجومه تأتي

(١) الديوان: ٨٤.

(٢) الديوان: ٧١.

(٣) الربيع: المنزل، ودار الإقامة. ينظر: لسان العرب: (٨/ ١٠٢). (ربيع).

(٤) وألحف السائل: ألح. ينظر: معجم مقاييس اللغة- ابن فارس: (٥/ ٢٣٨).

(٥) ينظر: المنازل والديار: أسامة بن منقذ: ١٣٦.

الاندحار أمام أضواء الصباح وقال عنه ذلك ليس غزلا ولا ما يشبه الغزل<sup>(١)</sup>. من تلك المقدمات هذه المقدمة الغزلية في القصيدة النونية، التي قال فيها<sup>(٢)</sup>:

(الكامل)

أَفْتورُ لَحْظُكَ أَمْ غِرَارٌ<sup>(٣)</sup> يَمَانِي      وَقَوَامُ قَدُكَ أَمْ قَضِيبُ الْبَانَ  
أَمْ حَاجِبَانِ عَلَى الْجَبِينِ تَقَوَّسًا      أَوْ فِي صَحِيفَةٍ كَاتِبِ نُؤْنَانِ  
وَشَنَيْبٌ<sup>(٤)</sup> تَعْرِ فِي فَمِ أَمْ لَوْلُو      نَظْمُوهُ فِي سِلْكِ مِنَ الْمَرْجَانِ  
يَا لِلتِّي أَسْكَنْتُهَا فِي مُهَجَّتِي      فَبِأَيِّ مَقْدَرَةٍ مَلَكْتَ عَنَانِي  
بِشَقَائِقِي مِنَ وَجَنَّتِي تَشَقَّقَتْ      حَجَبِ الْقُلُوبِ شَقَائِقِ النِّعْمَانِ  
أَوْ كَلَّمَا عَايَنْتُ طَرْفَكَ فِي الْكُرَى      وَشَكوتِ طُولِ البَعْدِ وَالهِجْرَانِ  
أَوْتَرْتِ قَوْسِي حَاجِبِيكَ كَأَنَّي      غَرَضٌ لِأَسْهَمِ طَرْفَكَ الْفَتَّانِ  
يَا بِنْتَ مَخْتَلِسِ النِّفُوسِ تَرْفَقِي      فَهَوَاكَ أَبْعَدُنِي عَنِ الْأُوطَانِ  
لَوْلَاكَ مَا اتَّصَلَ السَّهَادُ بِمَقَلَّتِي      وَلَمَّا جَفَا طَيْفَ الْكُرَى أَجْفَانِي  
وَلَمَّا رَأَيْتُ مِنَ الْعَجِيبِ مَصَارِعًا      لِلْأَسَدِ بِيْنَ مَرَاتِعِ الْغَزْلَانِ

فالشاعر تغزل بفتاته التي اتصفت بجمال العينين وفتورهما، وأشبهت بذلك اليماني الذي ينام قليلا (غرار يماني)؛ أما استقامة القوام فقد شبهها بقضيب البان، وشبه الحاجبين بالقوس، ثم أضاف شيئا جديدا من التشبيه وهو أن الحاجبين كحرفي نون مقلوبين رسما في صحيفة، وانتقل لثغرها ليصفه، وجمال أسنانها التي أشبهت اللؤلؤ، وبعد انتهائه من وصف جمالها تحول لوصف معاناته، وكيف أنها تمكنت من أن تأسر قلبه وتملك عنانه؛ ثم عاد ليصف وجنتيها التي شبههما بشقائق النعمان، وكل هذا الجمال كان سببا في إبعاده عن الوطن، ثم انتقل إلى غرضه الرئيس الذي كان يتمثل في الدعوة إلى الاسماعيلية، بقوله (تمسكي بحبال آل محمد -- ما عشت لا بحبال الشيطان)<sup>(٥)</sup>.

ج- الظعن:

عرفها حسين عطوان بقوله (تصوير مناظر التحمل والإرتحال)<sup>(٦)</sup>، ويجد فيها أن الشاعر يعبر عن حزنه وأسفه وخيبة أمله نتيجة الرحلة والفرق فهو يتحدث عن أكثر من قضية، وأكد أن القدماء لم يعنوا بهذا النوع من المقدمات عناية كبيرة. وسبب ذلك ليس عدم معرفة الشعراء بها أو جهلهم إياها<sup>(٧)</sup>.

إن تقاليد وتفصيل مقدمة الظعن بما يتصل بها من وصف الاستعداد للارتحال بالإبل وهوداجها وثيابها وألوانها، أو بالحادي والدليل أو بالطريق ومخاطرها أو بغاية الرحلة التي هي معروفة لدى الشعراء الجاهليين، فكثير من تقاليد ثابتة لديهم، ولكن يبدو أن الأمر ليس متعلقاً بالجاهليين فحسب؛ بل سار على نهجهم الشعراء العباسيون ومنهم شاعرنا مزيد الحلبي بمقدمته عن الظعن، بقوله<sup>(٨)</sup>:

(الطويل)

أُتَشْتَاقُ أَمْ شَاقَتَكَ ظَعْنٌ تَقَاذِفُ      بِهَا فُلُوتَ بِالْمَطِيِّ قَوَازِفُ  
يُجَبِّنُ الْفِيَا فِي خُدْمٍ بِمَنَاسِمِ      يَطِيرُ بِهَا حِرَانُهَا الْمُتَوَاصِفِ

(١) تنظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي- د.حسين عطوان: ٩٢.

(٢) الديوان: ٧٩.

(٣) الغرار بالكسر: النوم القليل، ينظر: الصحاح: الجوهري: (٢/ ٧٦٨).

(٤) الشنْبُ: ماء ورقة يجري على الثغر. ينظر: لسان العرب (شنب):

(٥) الديوان: ٧٩.

(٦) مقدمة القصيدة: حسين عطوان: ١٣٧.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧.

(٨) الديوان: ٧١.

تلوح وراء السجف من جانب الخبا مخرّدة بل ريربّ متهااتف

فالشاعر يتحدث عن الشوق الذي أصابه؛ ثم يجعل نفسه متسائلاً عن الظعن الذي تقاذفته الفلوات، واستمر بالحديث عن المصاعب التي واجهته خلال مسيرته في الصحراء.

#### د- مقدمة الطيف:

جاء ذكر مقدمة وصف الطيف على لسان عمرو بن قميئة كما أشار إلى ذلك حسين عطوان، وفيها يصف الشاعر طيف محبوبته، بعد أن قطع المفاوز الموحشة المجهولة، والطرق المتداخلة حتى انتهى إليه وداعبه في منامه<sup>(١)</sup>. وفيها يتساءل الشاعر ويتعجب من الطريقة التي وصل بها طيف المحبوبة إليه، وكيف تجاوز تلك القفار، وعرف المسالك حتى وصل إليه وداعبه، وهو يغط في نوم عميق نتيجة لما لاقاه من متاعب في يومه الفائت، مع توقع إبعاد وصول المحبوبة بحقيقتها بأي حال من الأحوال، وذلك ما ذهب إليه مزيد الحلبي، بقوله<sup>(٢)</sup>:

طَيْفٌ لِحَسْنَاءَ مِنْ بَعْدِ الْكَرَى طَرْقًا لَيْلًا فَهَاجَ بِي الْأَحْزَانُ وَالْقَلَقَا  
عَجِبْتُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي يُعَانِيُنِي مَا كَانَ أَحْسَنُ هَذَا الْعَتَبُ لَوْ صَدَقَا

وقال مزيد الحلبي مخاطباً ذات النخيل، وهو اسم أطلقه على مدينة الحلة، ناصحاً أهلها بالصبر الذي تحمد عقباه، والخطاب هنا موجه لمن يعتقدون المذهب الاسماعيلي، نتيجة لما مروا به من مضايقات أدت بهم إلى ترك مدينتهم التي أسسوها والارتحال عنها عنوة، بقوله<sup>(٣)</sup>: (الكامل)

يَا سَاكِنِي ذَاتِ النَخِيلِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَالْمَحْمُودِ عَقَبِ الصَّابِرِ  
لَا تَبْعَثُوا طَيْفَ الْخِيَالِ يَزُورُنِي فَأَذُوبُ وَجَدًّا بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ

فالشاعر طلب من أهل مدينته ألا يبعثوا بطيف خياله ليزوره ليلاً، فيتذكر أيام تلك المدينة التي رفلت بالعز والافتخار أيام كانت تزهر بأهلها المزيديين.

#### ٤- خمرياته:

كاد القدماء أن يتفقوا على أنّ عمرو بن كلثوم، هو أول من صرح بخمرياته حينما استهل معلقته بذكر الخمر، بقوله<sup>(٤)</sup>:

(الوافر)

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا  
مُشْعَشَعَةً كَأَنَّ الْخُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا<sup>(٥)</sup>

لكن بروز الخمرة كغرض مستقل يعتقد أن ذلك حدث في العصر العباسي بشكل ملفت للنظر على يد أبي نواس مع وجوده في عصور سابقة كالعصر الجاهلي أو الأموي، وسمي أبا نواس بشاعر الخمريات؛ وبعد أن كان على شكل مقدمات خمرية وفيها يختفي منظر الوداع التقليدي، وما يتصل به من حديث الطعائن المسافرات، وتحل مكانه مناظر مجالس الشراب بسقاتها وندمائها... وفي بعض الأحيان يظهر فيها الحديث عن المرأة، وعواطف الشاعر ومشاعره، فهي مزاج من عناصر شتى ومقومات متعدّدة، لكن الغريب في الأمر أنّ الكثير من المقدمات الخمرية هو حديث الشعراء عن الموت والفناء. وقد انتشرت هذه المقدمات بعدما عمّ الرخاء بغداد واستقرت أحوال أهلها وأخذ الناس حظاً وافراً من اللهو والشراب، وكذلك الترف الذي وفره الخلفاء للشعراء جعل هؤلاء يعكفون على

(١) ينظر: مقدمة القصيدة العربية: حسين عطوان: ١٠٤.

(٢) الديوان: ٧٦.

(٣) الديوان: ٩٢.

(٤) ينظر: الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري: (١/ ٣٨٠).

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق - إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٦م: ٦٤.



الملاذات، وكانت الحانات والأديرة قد انتشرت في بغداد، ذلك كله وغيره ساعد على وصول موجة الخمريات إلى أبعد غاياتها في هذا العصر.

والخمريات فن شعري ليس بجديد على الشعراء العباسيين، فهو قديم، بدأ بشعراء ما قبل الإسلام مثل (الأعشى) واستمر مع شعراء الإسلام ك(أبي محجن الثقفي)، ثم حمل لواءه في العصر الأموي (الأخطل) ثم (الوليد بن يزيد) الذي كان بسبب نزعة الآثمة وافتتانه بالخمريات قد مهد كثيراً (لأبي نواس) وإضرابه في عصابة المجان في العصر العباسي، وبذلك نجد أن مزيد تأثر بهذه الأجواء مع أنها تخالف منهجه الذي سار عليه في أغلب قصائده وهو التوجه الديني المذهبي الاسماعيلي، وبذلك جاءت هذه القصيدة التي تضمنت أسئلة كثيرة، يستفهم فيها بإلحاح عما أصابه من ألم ووجع جعله يتجه نحو شرب الخمرة، ويقول فيها شعراً، منه هذه الأبيات<sup>(١)</sup>:

(الطويل)

أَيُخْطَى بِفُرْبِ الدَّارِ صَبَبٌ مُنَيَّمٌ      وَقَدْ شَفَّهَ كَأْسٌ مِنَ البَيْنِ عَقْمٌ  
وَهَلْ تَشْفَعُ الأَيَّامُ بِالأَوْصَلِ بَعْدَمَا      تَحَكَّمْ دَهْرٌ بِالقَطِيْعَةِ يَحْكُمُ  
إِلَى كَمْ أَلْوَمِ النَّفْسِ عِنْدَ ادِّكَارِكُمْ<sup>(٢)</sup>      وَحَتَامَ أَخْفِي مَا الأَقْيِ وَأَكْتُمُ؟  
وَفِي كَيْدِي لِلبَيْنِ نَابٌ وَمَخْلَبٌ      وَحَوْلِي ذِنَابٌ لِلْحَوَادِثِ حُومٌ  
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَضَيْتُ فِيهَا مَارِي      أُعَانِقُ رِيَابَ الخُدُورِ وَأَلْتِمُ

أكثر الشاعر في هذا النص من التساؤلات وأتى بأكثر من أداة استفهام ومزج بين التصديق والتصوير فالهمزة التي أتت للصنفين استعملها للتصديق فقال (أَيُخْطَى) ووصف نفسه بـ(المتيم) وكل ذلك كان سببه ظهور الكأس في حياته، واستمر في سرد تساؤلاته بـ(هل، متى)، ويبدو أن الرجل متأثر نفسياً بما يحيط به، وممن سبب له كل هذه الآهات التي أجبرته لطريق لم يكن راغبا له فتوجهه نحو كأس الخمرة.

ثم يطلب من جلسائه سقايته الخمرة، بقوله<sup>(٣)</sup>:

وظيباً أناجيه وقد غلب الكرى      أَلَا فاسقني خمرأ من الدن يرهـم<sup>(٤)</sup>  
أدرها لنا لا عيش إلا بشرها      إذ لاح ضوء الصباح أو هب أنسم  
مشعشعة تصفو لكل متيم      لبيب وأما عن جهول فتحـرم  
تلوح فلا أدري مصاييح راهب      تشع أم انقضت من الأفق أنجم  
ويرفعها الساقى فلست بعارف      أيلزمها بالكف أم ليس يلزم

فقد وصف حال ساقيه ووصف نفسه وهو يحتسي الخمرة، إذ أصبح لا يميز بين الكأس هل من تمسك الساقى أم الساقى من يمسكها. ولم يكتف بذلك، بل بدأ يصف الخمرة في قصيدته<sup>(٥)</sup>:

هي الشمس في السراء والبدر بزجها      ومشرقها كأس ومغربها فم  
إذا برزت هبوا قياماً وسجداً      ويهـرق من بعد السجود لها دم  
فتقتلهم من بعد قتلهم لها      وقلت اقتلوا أيها القوم تسلموا  
أيا دهر هل بعد التفرق رجعة      وهل يشقني من لاعج الشوق مغرم

(١) الديوان: ٧٠.

(٢) الإدكار، مأخوذة من مدكر، ومذكر في الأصل مُذَكِّرٌ عَلَى مُفْعَلٍ فَصِيْرَتِ الدَّالِ وَتَاءُ الإِفْتِعَالِ ذَالًا مُشَدَّدَةً. ينظر: لسان العرب: (٤/ ٢٩٠).

(٣) الديوان: ٧٠.

(٤) يرهـم: المطر الضعيف الدائم. ينظر: العين (٤/ ٥٠). اللذن: اللين من كل شيء من غود أو حبل أو خلق. ينظر: لسان العرب (١٣/ ٣٨٣).

(٥) الديوان: ٧٠.

ثم تنبه بعد ذلك وهو في غمرة وصفه للخمرة وما الذي تفعله بشاربها، فتذكر أن ذلك الشيء لا يناسبه وهو الرجل الأمير من الأسرة المزيدية الموالي لآل البيت أن يستقي الخمرة ويصفها بهذا الوصف فدعا من يحتسبها إلى تركها والتوجه للصلاة والسجود وافتاء الله سبحانه وتعالى.

### المبحث الثاني: أثر مدينة الحلة في شعره:

عرفت هذه المدينة بالجامعين، أو الحلة الفيحاء، أو السيفية أو المزيدية نسبة إلى الأمير سيف الدولة "صدقة بن ديبس المزدي" الذي بنى تلك المدينة، وأما المزيدية فتنسب إلى بني يزيد، وهو الجد الأول لهم وتقع الحلة المزيدية أو الجامعين في الموضع نفسه الذي تقع به مدينة الحلة الحالية، واشتهرت بالجامعين وقد تميزت بانتساب الأدباء والعلماء إليها الذين ينسبون إلى الحلي<sup>(١)</sup>. وقال مزيد في الجامعين<sup>(٢)</sup>:

#### (الطويل)

فِيَا دَهْرُ هَلْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ رَجَعَةٌ فَيَهْتَفُ بِي لِلْوَصْلِ يَا دَهْرُ هَاتِفُ  
وَتُسْعُدُنِي بِالْقُرْبِ بَيْنَ أَجْبَتِي وَتَجْمَعُنِي بِالْجَامِعِينَ مَعَارِفُ  
أَخَالِفُ قَلْبِي فِي تَزَايِدِ وَجْدِهِ عَلَى كَثْرَةِ الْأَسْوَاقِ وَهُوَ يُخَالِفُ  
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي بِيْلَادِهِ بَدِيلًا وَلَوْ مَالَتْ عَلَيَّ الْعَوَاطِفُ

فهو يعاتب الدهر الذي أبعدته عن مدينته، ويذكر تعلقه فيها، وحبه ووداده لها، ويؤكد عدم قناعته ببديل لها. وقال فيها أيضا<sup>(٣)</sup>:

#### (البيسيط)

هَلْ لِي بِرَجْعَةٍ عَيْشٍ كُنْتُ أَعْهَدَهُ لِلْجَامِعِينَ وَبَرَقُ النَّبِينِ مَا بَرَقَا  
أَيَّامَ أْخْطَرُ<sup>(٤)</sup> فِي رَوْضِ الصَّبَا قَرَحًا وَلَمْ تَي جَنَلَةٌ تَرْهُو لِمَنْ رَمَقَا

فالاستفهام الذي ينقل معاناة الشاعر باد عليه واستعمله هنا مجازا للتمني بعودة الأيام التي كان يعيشها في تلك المدينة، ولاسيما ما يتخطره أيام صباه، وحينها كان كث الشعر الذي يتميز بجماله. وقال ذاكرة مدينة الحلة التي كانت تسمى الجامعين<sup>(٥)</sup>:

#### (الكامل)

أَسْرَرْتُ بِسِكَّانِ الْعَقِيقِ<sup>(٦)</sup> رَكَائِبُ أَمْ شَنَّتَ الشَّمْلَ الْغُرَابُ النَّاعِبُ  
وَحَلَلْتُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ بِالْجَامِعِينَ مَرَابِعَ وَمَلَاعِبُ

لعل أسلوب الاستفهام ولاسيما الهمزة لها وقع كبير في حياة هذا الشاعر الذي بدا دائما متسائلا عن أشياء كثيرة استجدت فيها وجه سؤاله لسكان(العقيق)، ومن ثم مزج ذلك التساؤل بالتساؤل وبخاصة من الغراب الناعب الذي تسند له العرب كل فعل مشؤوم، وكل ذلك جاء تأكيدا لما يعانیه قومه في الجامعين الذين كانوا في أحسن حالٍ ثم دارت بهم الدوائر وإذا هم مشردون مشنتون ضائعون.

ومزيد الحلي حين تذكر أحبته بمدينة الجامعين الحلة حاليا، قال<sup>(٧)</sup>:

ذِكْرُ الْأَجْبَةِ بِالْعِرَاقِ أَهَاجَ بِي شَوْقًا وَقَدْ يَزْدَادُ شَوْقُ الدَّاكِرِ  
وَمَرَابِعُ بِالْجَامِعِينَ عَهْدُهَا تَرْهُو بِغَزْلَانٍ لَهَا وَجَادِرِ<sup>(٨)</sup>

(١) ينظر: معجم البلدان (2/ 96). و الديوان: 20.

(٢) الديوان: 72.

(٣) الديوان: ٧٦.

(٤) أتذكر: لسان العرب (خطر):

(٥) الديوان: ٨٨.

(٦) والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق. ينظر: معجم البلدان: الحموي: (٤/ ١٣٨).

(٧) الديوان: ٩١.

(٨) حصل تصحيف فيها في الديوان إذ كتبها(جأزر)، والصحيح هو (جأذر). الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، والجمع جأزر. اعتقد هنا قصد أولاد الغزلان. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (٢/ ٦١٠).

نلاحظ غرض الوصف لحالة الشاعر في البيتين ففي البيت الأول وصف حاله حين تذكر أحبته وأيام صباه في العراق وعبر لهم عن اشتياقه، وهنا ربما لم يتذكر من أحبهن من النساء حسب، بل أراد أغلب من تعايش معهم أيام الصغر والانتعاش في تلك الديار، وفي البيت الثاني وصف الازدهار والرقى الذي وصلت إليه تلك الأيام، فالمربع تزهر بغزلان جميلة، وصغارها تلعب وتلهو. ففي موشحة لمزيد استعمل فيها الهمزة للتمني بعودة أيامه في مدينة الجامعيين، بقوله<sup>(١)</sup>: (البيسيط)

ثرى أترجعُ أيامي وطيبتها بالجامعيين وتلقى النفس خلَّتْها  
أقول في بلدٍ غنَّتْ حمامتها كذا حمامةُ وادي الكهفِ شيمتُها  
رجعُ الهديلِ ورشُحُ الأدمعِ الزرب<sup>(٢)</sup>

فالحسرة والألم من الفراق وشدته تجدها في أغلب نصوصه الشعرية بارزة تتم عن وجع يحمله هذا الرجل ولاسيما ارتباطه بنبرات الحزن التي تحملها الحمايم في صوتها الحزين، يضاف لها ما يظهر عليه من دموع ساكبة، وأنين لا يتوقف. وعلى المنوال ذاته في إظهار حسرته ولوعته قال في الجامعيين<sup>(٣)</sup>:

(الطويل)

فيا دهرُ هل بعد التفرقِ رجعةً فيهتفُ بي للوصلِ يا دهرِ هاتفُ  
وتسعدُنِي بالقربِ بين أحبتي وتجمعي بالجامعيين معارفُ

ويبدو أنّ لهذا الرجل حكاية طويلة مع النداء المجازي، وأداة الاستفهام "هل" التي برزت بشعره بشكل لافت للنظر معبراً فيها عما يعانیه من فراق مدينته الحلة، فكل شيء في الحياة يتمنى لو الدهر عاد به ليعيشه هناك.

وقال مزيد بشط الفرات<sup>(٤)</sup>:

(الخفيف)

من بشط الفرات هل يسعد الدهر على البين أو يعين القضاء  
ويعودُ الشملُ الشتيثُ كما كان وتناى الهموم والبُرُحاء<sup>(٥)</sup>

وقال في شط الفرات<sup>(٦)</sup>:

(أخذ الكامل)

هذا هو العذبُ الفراتُ وما يتجرعون فائتةُ المهل<sup>(٧)</sup>

أشار إشارة خفية لشط الفرات الذي تعلق به لأنه يقسم الجامعيين إلى نصفين، وربط ذلك بحبه لآل البيت.

وجعل طعمه كالمهل الشراب غير السائع الذي يسقيه ربُّ العزة والجلالة لقوم لايرتضيهم مجسداً قوله تعالى ((وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا

يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا))<sup>(٨)</sup>.

ومن ذكريات مزيد في مدينته الحلة وما يجاورها هو وصفه لنهري دجلة والفرات، بقوله<sup>(٩)</sup>: (الكامل)

مَنْ لِي بِذَلِكَ وَالْفُرَاتِ وَدِجْلَةَ وَمَهَامُهُ دُونَ الْمَزَارِ وَيَبْدُ

فالرجل يحنُّ لأي ذكرى تربطه بصباه وأيام الدلال حينما كان يتردد على دجلة والفرات، ويمارس طقوسه وشعائره الدينية بالقرب

من المزارات التي يقدها.

وقد تعددت الأسماء لمدينة الحلة فذكر منها مزيد، الجامعيين، وهنا جاء ذكر اسمها بالحلة الفيحاء، بقوله<sup>(١٠)</sup>:

(١) الديوان: ١٢٥.

(٢) مسيل الماء. ينظر: معجم متن اللغة - أحمد رضا: (٣/ ٢٤).

(٣) الديوان: ٧٢.

(٤) الديوان: ٨٢.

(٥) البرحاء: الشدة والمشقة. ينظر: لسان العرب (٢/ ٤١٠).

(٦) الديوان: ٨٦.

(٧) المهل: القحج والصديد. ينظر: الصحاح(مهل): (٥/ ١٨٢٢).

(٨) الكهف: ٢٩.

(٩) الديوان: ٩٥.

(١٠) الديوان: ٦٢.

## (الطويل)

مِنَ الحَلَّةِ الفِجَاءِ حَتَّى تَرَكْتُهَا وَبَغْدَادُ خَلْفِي لَمْ أَطَاهَا بِمَنْسَمٍ

فقد ذكر مدينة الحلة ووصفها بالفيحاء ويبين قصة مسيرته منها إلى مدينة مصياف في الشام ذاكرا المدن التي مرَّ بها سنوضح ذلك في موضع آخر حين نقف لتحليل الأبيات الخاصة بذلك.

وقال في موشحة له ذاكرا اسم مدينته الحلة، بقوله<sup>(١)</sup>:

## (الطويل)

ورحلتُ عيسي للنوى ونهلتها      وحين دعا داعي الثرى لي دعيتها  
ولمَّا دنا التعريش منها فركتها      من الحلة الفيحاء حتى تركتها  
وبغداد خلفي لا أطأها بمنسم

قال محقق الديوان عن هذه القصيدة "وردت في الكتب المخطوطة مشطرة؛ وأرجح أن التشطير لشاعر آخر غير مزيد.. لهذا كانت الأخطاء كثيرة، والقوافي مضطربة وغير موزونة"<sup>(٢)</sup>.

وذكر مزيد للحلة اسما أو وصفا انفرد به عن غيره، فقد سماها بذات النخيل، بقوله<sup>(٣)</sup>:

## (الكامل)

يَا سَاكِنِي دَاتِ النَّخِيلِ عَلَيكُمْ      بِالصَّبْرِ فَالْمَحْمُودُ عَقَبَ الصَّابِرِ

فالشاعر يشكو همه وحزنه وألمه الذي أصابه بسبب فراقه لمدينته الحلة التي وصفها بذات النخيل، وهذا إن دل على شيء إنما يدلُّ على كثافة أشجار النخيل في مدينة الحلة منذ أزمان بعيدة ولا زال إلى يومنا هذا. واستمر في ذكره لمدينته باسمها الجامعين، بقوله<sup>(٤)</sup>:

## (الطويل)

فِيَا رَاقِبًا جِزْتَ العِـرَاقَ مُقَابِلًا      تَعُوجُ عَلَى عَوَجَاءِ فَاتِحِ بَادِنِ<sup>(٥)</sup>

وَذِي ذِرْوَةِ الجَامِعِينَ وَذِي حِجَا      عَلَى دَاتِ تَخْلٍ مِنْ دَوَافِرِ سَاكِنِ

وجاء ذكر ذات نخل في هذين البيتين داعما ومسانداً لما قال في أبيات سابقة.

ومزيد يشكو فراقه لمدينته التي بَعُدَ عنها مُطْلَقًا عليها تسمية بابل هنا، وهي الاسم القديم لهذه المدينة من عهود سحيقة،

## (الكامل)

بقوله<sup>(٦)</sup>:

أتعود أيامي بزورة بابل      هيهات أيام مضت أتعود  
والحلة الفيحاء فيها طينتي      دارٌ بها أهـل الندى والجود  
أيام أسحب في رياض وصالها      برد الشباب الغض وهو جديد  
نعماً لها دار يعمُّ بها الحيا      تأوي مرابـعها ظبي وأسود  
ويدي الكريمة لم تزل مغلولة      فيها وطيب العيش وهو رغيد  
أصفي لها ودي فيهلك بيننا      كمداً عدو شامت وحسود

هذه الأبيات تحمل في طياتها نفس الشاعر الذي جرى في أغلب قصائده مستعملاً أسلوب الاستفهام ولاسيما بالهمزة؛ منها عما أصابه من ألم وحسرة على فراق مدينته وأهلها الطيبين، مستعملاً اسمها القديم-بابل- الذي ذُكر كثيراً في الشعر العربي؛ وقد ذكرها

(١) الديوان: 135.

(٢) الديوان: 131.

(٣) الديوان: ٩٢.

(٤) الديوان: ١٢٢.

(٥) بادن: ضخم لسان العرب (بدن).

(٦) الديوان: ٩٥.

القرآن الكريم بقوله تعالى: ((وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ))<sup>(١)</sup>، وأكد الشاعر على تسميتها بالحلة الفجاء وأن طينته فيها مستمداً ذلك من قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى))<sup>(٢)</sup>، ذاكراً صفات أهلها في الجود والكرم، وكذلك أيام صباه التي قضاها هناك، وختم حديثه عنها بأنه يبقى وفيها لها مهما أبعد الزمن عنها، ودعا على الشامت والحسود أن يموتا بكمدهما.

### المبحث الثالث: أثر المدن الأخرى في شعره:

لعل ارتباط الإنسان بالأرض والوطن وإحساسه بأنه جزء من البيئة التي ولد فيها وعاش حياته في كنفها وأفيائها، كان له كبير الأثر في نزوع الشعراء إلى نظم أشعار المدن التي تمثل أوطانهم أولاً؛ ومن ثم تثير اهتمامه مدن أخرى. فالشاعر مزيد الحلبي وقف وتأمل كثيراً بمدينة "الحلة" كما مرّ معنا في المبحث السابق فقد وقف أمامها متأملاً شواخصها وتاريخها العريق، بوصفها سقراً من أهم أسفار التأريخ العربي الإسلامي، لما هي عليه من البهاء والتألق والعطاء. لذلك كله كان الحلبي يحبّ مدينته حباً طبيعياً، فهو يعيش في ظل أكنافها ينهل من علمها، لذا تعددت اتجاهاته في التعبير عن حبه وارتباطه بها إذ ترجم هذا الحب بقصائد ومقطوعات شعرية أبرزت أثر هذه المدينة في نفسه، فهو يتغزل بها ويربوعها الخلابة يحنُّ إليها ويأسره الشوق عندما يتغرب عنها، ويتوجع عليها ويبكيها أما إذا ما فقدتها وهذا ما كان بارزاً في أغلب قصائده المتأخرة، وهو في كل ذلك قد آرخ وكتب وعبر عن أرقى الإحساسات الإنسانية الشاعرة إزاء المدينة التي شكلت أحد أبرز ملامح شخصية شاعرنا.

يضاف إلى ذلك ما نقله من أثرٍ لمدن أخرى سواءً أكانت في العراق أم غيره، معبراً عن حبه أو ألمه بسبب ما آلت إليه الأمور التي حتمت عليه تركه لمدينته التي أطلق عليها أجمل التسميات التي سميت بها "الجامعين الحلة، ذات النخيل، بابل" لكن حبه لمدينته لم ينسه ما مرّ به من مدن في أثناء رحلته الإجبارية، ومن تلك المدن التي ذكرها مزيد هي مدينة الموصل التي أطلق عليها تسميتها المشهورة بالحدباء، بقوله<sup>(٣)</sup>:

#### (الطويل)

وزحنتُ عن الحدباء<sup>(٤)</sup> بغضاً بأهلها فقد جمعت أكنافها كل ماأزم

يبدو أنّ لمزيد قصة مؤلمة مع هذه المدينة مما يجعله يبتعد عنها وينزاح ولا يمرُّ بها، إذ نَمها وهجاها هجاءً مقذعاً نال منها ومن أهلها فقد أفصح شعره عن شيء يضمرة لها، ربما يحمل نفساً مخالفاً لهواه الطائفي، أو قد يكون لم يلقَ ذلك الاهتمام من أهلها فأنار ذلك حفيظته الشعرية فنعتها بنعوت لا تليق بسمعة تلك المدينة وما اتصف به أهلها من حرص واهتمام بالضيف ولاسيما من القبائل العربية التي تقطن هذه المدينة.

ومن أهم ما كتب هذا الشاعر قصيدته التي سماها محقق الديوان بالرحلة وهي قصيدة طويلة تصل إلى (64) بيتاً شعرياً نظمت على البحر الطويل، وروي (الميم)، تحدث فيها عن مدن عدة مادحا بعضاً منها وذاما الآخر، ونقل واقع الرحلة وما فيها من مأسٍ وآلام، فقد بدأها الشاعر بمقدمة ذم فيها الدنيا وحثَّ أهلها على العمل للأخرة، مضمناً أبياته أحكاماً وألفاظاً قرآنية واستمر في مقدمته إلى البيت (16) وحاول أن يحسن التخلص بقوله (دع الشك واعمل باليقين)، منتقلاً لشيء جديد وهو عدم التمسك بالرأي وإطاعة ما قال غيرك ممن يراهم هو أنهم مصلحون، واعتقد هنا أنّ الشاعر جافى الحقيقة وابتعد عن استعمال عقله وتمسك بشيء يراه صحيحاً ويرشد غيره للتمسك به، ثم انتقل إلى غرضه الرئيس وهو وصف رحلته النهائية التي أبعد فيها عن مدينة الحلة عنوة بأبيات وصل عددها إلى (31) بيت، تحدث فيها عن كل مدينة مرَّ بها في طريقه. وسنسردها فيما يأتي، إذ بدأ أبياته ببيت حكمة، بقوله<sup>(٥)</sup>:

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) الأنعام: ٢.

(٣) الديوان: ٦٢.

(٤) تأنيث الأحدب: اسم لمدينة الموصل، سميت بذلك لاحتماب في دجلتها واعوجاج في جريانها. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢٧).

(٥) الديوان: ٦٢-٦٣.

## (الطويل)

وأصبحتُ فتاشُ الحقوق وأهلها ومن يك فتاشاً عن الحق يَغْنَمُ

في صدر البيت تحدث عن حقوق فتش عنها طويلاً، ثم جاء العجز ليتحدث عن حكمة مستقرة في الأذهان وهي " ما ضاع حقٌّ وراءه مطالب"، وعلل ذلك التصرف انه استجابة لما يريد داعي الله بقوله<sup>(١)</sup>:

مجيئاً لداعي الله في القرب والنوى أجوبُ الفيافي معلماً بعد معلّم

حيث أكد أنّ رحلته تلك جاءت استجابة لما يريد داعي الله، وبسببها قطع المفاوز والصحاري وكذلك الحاضرة معددا إيّاها أثراً بعد أثر، ومن ثم بدأت الرحلة من مدينة الحلة بقوله<sup>(٢)</sup>:

من الحِلَّةِ الفيحاء حتى تركتها ويغداد خلفي لم أطأها بمنسم<sup>(٣)</sup>

وجئتُ أواناً ثم وافيت أختها صريفين واخترتُ القلب مُمخِّم<sup>(٤)</sup>

يبدو أن الشاعر سجل مفردات رحلته بشكل دقيق ومفصل فحين ترك مدينة الحلة متوجهاً إلى مدينة مصياف لم يدع شيئاً لاحظته إلا بثته في شعره ففي هذين البيتين وحينما غادر الحلة لم يكن طريقه على بغداد بل جعلها خلفه وتوجه بطريق خارجها، ليسلك الطريق المؤدي إلى مدينة سامراء وصولاً إلى تل أعفر، بقوله<sup>(٥)</sup>:

ووافيت سامراً وتكرّيت بعدها وقلت لروحــــــــي بالقلية رنم<sup>(٦)</sup>

وجاوزتُ نخلاً بالبوازيح شمخاً أجوبُ فجاج الأرض جوب المصمم<sup>(٧)</sup>

وزحّتُ عن الحدباء بغضاً بأهلها فقد جمعتُ أكنافــــــــها كل مأزم

ولم يكُ لي في تل أعفر منزلاً فدينهم دين اللعين ابن ملجم<sup>(٨)</sup>

ولم ألقَ في سنجار من يلتقي به سوى دلو بئرٍ نازلٍ قعر مظلم<sup>(٩)</sup>

فحين سلك الطريق الخارجي المار بسامراء ووصولاً إلى تكريت فقد أخذ وقتاً من الراحة في القليعة، واستمر في اليوم الآخر لينطلق من مدينة البوازيح، ويقطع الصحراء طويلاً وعرضاً، وتحدثنا سابقاً عن ابتعاده عن مدينة الموصل، وأيضاً لم يكن له في تل أعفر استقرار ومبيت لأنه يبغض أهلها كون دينهم دين عبد الرحمن بن ملجم أي على طريقة الخوارج الذين حاربوا الإمام علي (ع) في معركة النهروان، وأيضاً ذم مدينة سنجار لأنه لم تناسب هواه المذهبي. وحين انتقل إلى أرض الشام أو سوريا حالياً، قال في مدنها<sup>(١٠)</sup>:

وسررتُ حثيثاً من دنيسر بعدما جعلتُ إليها من نصيبين مقدمي<sup>(١١)</sup>

ولما انتهت للرقّة السير لاح لي من الله نور ساطع غير مظلم<sup>(١٢)</sup>

ولما قطعنا جسراً بالس عرّجت صدور ركابي نحوها غير محجم<sup>(١٣)</sup>

وسارت بنا تطوي الفجاج وجاوزت لشط الفرات في كل حزم مصمم

(١) الديوان: ٦٢-٦٣

(٢) الديوان: ٦٢-٦٣

(٣) منسم: تعبير مجازي عن القدم. وهو: خف البعير. الصحاح (نسم).

(٤) الصريفين، والقلب - موضعان في العراق. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٤٠٣).

(٥) الديوان: ٦٢-٦٣.

(٦) القليعة: بلفظ تصغير القلعة: موضع في طرف الحجاز على ثلاثة أميال من الغضاض. ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٩٦).

(٧) البوازيح: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة، ويقال لها بوازيح الملك. ينظر: معجم البلدان (١/ ٥٠٣).

(٨) تل أعفر: اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط واد فيه نهر جار، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٣٩).

(٩) سنجان: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢٦٢).

(١٠) الديوان: ٦٢-٦٣.

(١١) دنيسر: بضم أوله: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٤٧٨).

(١٢) نصيبين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. ينظر: معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

(١٣) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات في الشام. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٥٩).

(١٤) باليس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٢٨).

هُـطلنا بوادي المنحوان بليلنا	من المـزن كل في أواخر مرزم <sup>(١)</sup>
ولمّا أتينا الشـيح والليل قد بدتْ	عسـاكره في كل أسود مُقتم <sup>(٢)</sup>
نزلنا وقد وافى الكـرى دير حافرٍ	وسـرنا وأرباب السـرى غير نؤم <sup>(٣)</sup>
نجوبُ الفلا ما بيـن أشعثُ أغبر	يـحـنُّ إلى الهادي وأجرد أدهم
ولمّا وصلنا ماء كاسر لم يكن	لنا معدل عن روضها المتبسم <sup>(٤)</sup>
نزلنا بها ثم انتبـينا بركبنا	إلى حـلب والليل ليس بمعتم
ولما تجشمـنا قويق بغدوةٍ	تزايد بي شـوق المحب المتيم <sup>(٥)</sup>
وبتنا بأكناف القناطر بعدما	قطـعنا قرياتٍ بعزم مُصم <sup>(٦)</sup>
وجئنا إلى سرمين والغيث هاطلٌ	على كل سبط الراحتين غشمشم <sup>(٧)</sup>
وجزنا بها نحو المعرة وانتحي	بنا شجر الزيتون في كل جرثم <sup>(٨)</sup>
إلى أن وصلنا كفر طاب عشيةً	وقادح أرباب الثرى كل مضرم <sup>(٩)</sup>
ولما وصلنا أرض شيزر صدنا	مسيلٌ من العاصي شديد التهمج <sup>(١٠)</sup>
فرحنا بعون الله نقطع موجه	كما فعلت في الترب كف المنجم
وسرنا إلى مصياف سعيًا كما سعى	إلى البيت قـوم من قریشٍ وجرهم <sup>(١١)</sup>

ومن المدن التي ذكرها في الشام هي (نصيبين، دنيسر، والرقعة) ثم له قصة مع مدينة بالس ولاسيما جسرنا وبعد أن عبر شط الفرات عن طريق ذلك الجسر، بدأت الأمطار بالهطول بعد رياح باردة وقد كان المطر متواصلًا كثيفًا، ومن ثم وصل إلى مدينة (الشيخ)، ولا أدري لماذا وصف عساكرها أو جوها العام بالأسود والمقتم، هل هو حقد منه على من يسكنها لموقف خاص به، أم لسبب آخر؟ واستمر بشرح قصة مسيره فحينما أصابه النعاس وكان بالقرب من (دير حافر) استراح هناك لبعض الوقت، ومن ثم خرج منها ليلاً حينما غطت الناس في نوم عميق، ولعدم معرفة في الأرض التي يسير فيها بدأ يترنح يمينا وشمالاً ووصف راحلته فقال (أجرد أدهم)، وأيضاً ذكر (ماء كاسر)، وبعدها وصل المدينة الشهيرة (حلب) بعد أن انكشف ضوء النهار ثم استراح ليلة أخرى بعد أن قطع قرى ومفاوز كثيرة، يبدو أن المطر مستمر والوقت شتاء ففي مدينة (سرمين) الذي ذكرها نال بعض الراحة، ثم ذكر مدينة (المعرة، وكفر طاب، وشيزر، ونهر العاصي) وحين وصل مدينة شيزر، منعه من العبور نهر العاصي بأواجه المتلاطمة وسيله الشديد الجارف، لكنه لم يمنعه من مواصلة مسيره بل عبره سباحة مشبها حاله بكف المنجم الذي يعبث بالأتربة طولا وعرضا من أجل تحقيق مبتغاه، إلى أن وصل إلى مدينة (مصياف) التي استقر فيها إلى أن توفي هناك.

(١) واد في الشام لم أتوصل لمعلومة عنه برزج: الريح الشمال الباردة. ينظر: المخصص: بن سيده: (٢/ ٤١٦).

(٢) واد الشيخ: موضع بالجزيرة ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٧٩).

(٣) حافر: قرية بين بالس وحلب، ينظر: معجم البلدان (٢/ ٢٠٧).

(٤) يبدو أنه عين ماء ولم أتوصل إلى معلومة عنه.

(٥) نهر قويق: نهر حلب ينبعث من قرية تدعى سنياب. ينظر: المسالك والممالك-عبد الله البكري الأندلسي: (١/ ٢٣٧).

(٦) وادي القناطر: هو واد على شاطئ الفرات بين الرقة وبغداد. ينظر: معجم البلدان (٢/ ٥٣٢).

(٧) سزمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، قيل: إنها سميت بسرمين ابن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، وقد ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سرمين هي مدينة سدوم التي يضرب بقاضيها المثل، وأهلها اليوم إسماعيلية. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢١٥).

(٨) المعرة: وهي بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها بينهما نحو خمسة فراسخ ينظر: معجم البلدان (٥/ ١٥٥)، جزم: ماء لبني أسد بين القنان وترمس. ينظر: معجم البلدان (٢/ ١١٩).

(٩) مدينة كفر طاب، والإطيم وهي مدينة قديمة وأهلها قوم من يمن وسائر البطون وأكثرهم كندة. ينظر: البلدان: اليعقوبي: (١٦٢).

(١٠) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص وهي قديمة. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٣٨٣). نهر العاصي: هو نهر يتجمع من مياه بحيرة "قدس"، وتقع عليه مدينة وشيزر. ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٥٢).

(١١) مصياف: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشمالي قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف. ينظر: معجم البلدان: (٥/ ١٤٤).

وفي موشح، يذكر فيه نهر الفرات وجسر مدينة بالس، بقوله<sup>(١)</sup>: (الطويل)

ولمّا تيمّنا الفرات تخرجت حثيثاً إلى أوطانها فتدرجت  
نسيماً ككثر الدر فيه تأرجت ولمّا قطعنا جسر بالس<sup>(٢)</sup> عرّجت  
صدر ركابي نحوها غير محجم

فجسر مدينة بالس ترك أثراً في حياة هذا الشاعر، إذ تكرر ذكره، ويبدو أنّ وقعه كبير في ما طرأ من متغيرات حياتية لهذا الشاعر.

وجاء اسم مدينة يثرب في شعر مزيد مازجاً ذكرها بذكر المدائن، بقوله<sup>(٣)</sup>: (الكامل)

من يثرب جاء المدائن وانثنى من غير شك والأنام رقود  
ولم يخل شعر مزيد من ذكر الأودية، إذ ذكر وادي الغضا، بقوله<sup>(٤)</sup>:

(الطويل)

سرى الركب فازدادوا على همهم همّاً بوادي الغضا<sup>(٥)</sup> عمّاً تساءلهم عمّاً  
عن الجبل الفرد الذي شاع ذكره فمهما يسيروا لم يروا ذلك المهما

وهنا أشار إلى الجبل الفرد بالإضافة لذكره الوادي ويبدو أنه كنى عن الإمام الذي يعتقد به أنه قائم ومنقذ للبشرية. وقال في الأودية أيضاً<sup>(٦)</sup>:

(السريع)

يا سعدُ إن جاوزت وادي الأراك<sup>(٧)</sup> فأنشُد فؤاداً ضاع مني هناك  
وقل لغزلان النقى سائلاً هل لأسير الحب منهم فكاك  
وإن ترى ركباً بوادي الحمى فأنشدهم عني ومن لي بذاك  
فقد سروا واستصبحوا ناظري واليوم يهفو ناظري كي يراك

من خلال حديث الشاعر عن تفاصيل رحلته ذكر الأودية ومنها "الأراك" و"الحمى" مستعملاً أساليب بلاغية منها النداء، والأمر، الاستفهام موضعاً فكرته التي يريد توصيلها للمتلقي ومنهجه الفقهي الديني فضلاً عن عشقه وشوقه لوطنه الذي بات بعيد المنال، وابتعد عنه قسراً.

و مزيد تحدث عن الجبل مجازاً وحقيقة، ومنه قوله<sup>(٨)</sup>: (الكامل)

جبلٌ بأكناف الشام بناؤه نحو العراق يجيب بالإذعان  
تجري يباييع العلوم بهضبةً عذباً فيروى غلة الظمان

وهنا استعار اسم الجبل لمن يعتقد أنه منقذه من الأخطاء الدنيوية.

وقال مزيد في الجبل أيضاً<sup>(٩)</sup>: (الكامل)

حييت من جبل تبوأ للعلی والعزّ يرتع في رباك الزاهر

(١) الديوان: ١٣٧.

(٢) مدينة في الشام.

(٣) الديوان: ٩٨.

(٤) الديوان: ٩٠.

(٥) الغضا: واد بنجد، وأيضاً يطلق على كل واد يحوي شجر من شجر البادية يشبه الأثل إلا أنه لا يعظم عظمة الأثل، وهو من أجود الوقود وأبقاه ناراً. ينظر: معجم البلدان: (٤/ ٢٠٥).

(٦) الديوان: ٧٨.

(٧) وادي الأراك، قرب مكة، يتصل بغيقة. ينظر: معجم البلدان (١/ ١٣٥).

(٨) الديوان: ٨١.

(٩) الديوان: ٩٢.



حمل الشام تشوقاً وتلهُفًا      جبل يروق سواد عين الناظر

يبدو أن أثر أرض الشام الجبلية جعلت من الشاعر يستعير تلك الألفاظ لمن يراه رموزاً شامخة، ويرتبط بهم بشكل شخصي ويمنحهم العلو والرفعة التي ترسخت في ذهنه.

وقال في جبل الجودي<sup>(١)</sup>:  
(البيسط)

أفديك يا سائلي بالسمع والبصر      واسمع كلامي عسى نلقاك بالظفر  
ما كان طوفانه ماءً بلا مطر      ولم يكن جبل الجودي<sup>(٢)</sup> من حجر  
كللاً ولا نار إبراهيم من لهب

فالرمز بالشوامخ واضحاً لدى مزيد، وهنا جاء ذكر جبل الجودي الذي ارتبطت قصته بقصة النبي نوح(ع) التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} <sup>(٣)</sup>

وقال في ذكر الجبل مجازاً<sup>(٤)</sup>:  
(الطويل)

يعمر ربعاً كان بالأمس قد عفا      بمدح أناسٍ ليس في مدحهم كفا  
هم جبل الإيمان والصدق والوفا      هم العروة الوثقى هم الركن والوصفا  
هم الحج والمسعى هم بئر زمزم

واضح أسلوب أجزاء الموشحة التي أكثرت في مدح آل بيت أو من ينتسب إليهم شاعرنا وهو المذهب الاسماعيلي، وجعلهم كالجبل في شموخه وعلوه. أما ذكره للدول والأقاليم فقد جاء ذكر العراق والشام، بقوله<sup>(٥)</sup>:  
(الكامل)

بعث الشام إلى العراق رسالةً      فأتى الجواب مع الجنوب التأثر  
حبيبت من جبل تنبأ للعلی      والعز يرتفع في رباك الزاهر

فالشاعر حدد المكان الأول الذي هو العراق والمكان الجديد الذي هو الشام، وشخصهما وأرسل مشاعره الجياشة التي طرأت عليه بسبب البعد القسري ومعطيا لرموزه الدينية شموخ الجبال. وتحدث عن مصر مازجا ذكرها ببغداد، بقوله<sup>(٦)</sup>:  
(الكامل)

يتلو به التالي فتخرس أسنُ      العلماء من مصر إلى بغداد  
هذا نهاية علم من هو عالم      وبيان صحبة من أتى ببيان

الشاعر يتهم على من يتكلم على علماء من مصر إلى بغداد لأنهم لا يوافقون ما يراه هو بمن يتبعهم فقها. وبهذا نصل إلى نهاية بحثنا ونختمه بالنتائج.

(١) الديوان: ١٢٧.

(٢) الجودي: جبل بناحية الموصل إستوى عليه فلك نوح "ع". ينظر: الجبال والأمكنة والمياه - الزمخشري م: ٩٠.

(٣) هود: ٤٤.

(٤) الديوان: ١٣٢.

(٥) الديوان: ٩٢.

(٦) الديوان: ٨١.

## الخاتمة:

- وبعد أن وصلَ البحثُ إلى نهايته بموازرة الله ورعايته، لأيدِّ له من أن يختتم بذكر أهم النتائج التي توصل إليها، وهي:
- 1- تبين من خلال سيرة الشاعر مزيد الحلبي أنه أمير من أمراء الدولة المزدية التي قامت في القرن الرابع الهجري واندثرت وطوي عصرها في القرن السابع الهجري.
  - 2- ويبدو أن الشاعر أخذ حذره من تلاعب المتلاعبين فثبت معلومات تخص اسمه وبعض خصوصياته في شعره مازجا ذكر اسمه بحب آل بيت الرسول (ص).
  - 3- توصل الباحث من خلال البحث لمعرفة علاقة الشاعر بشخص يقال له سنان راشد الدين كان يعد الإمام والمثال والقُدوة لشاعرنا في كل سلوكياته.
  - 4- ومما جاء مختلفا عند مزيد في صورته الفنية حين استعماله للتشبيه بأنه شبه حاجبي حبيبته بحرف نون مقلوب، واعتقد أنه تشبيه انفراد به.
  - 5- كل شاعر لديه موضوعات لشعره تحمل صورة لتوجهاته الشخصية ومما توصلنا حول موضوعات شعر مزيد تعلقه بآل بيت الرسول (ص) ولاسيما المذهب الاسماعيلي يمدحهم ويفتخر فيهم مجسدا كل قدرته لخدمتهم.
  - 6- لم يغب أثر القرآن الكريم في شعر مزيد الحلبي واتضح ذلك من خلال تضمينه ألفاظا قرآنية " التين، الزيتون، البلد".
  - 7- برزت بشكل ملفت للنظر مقدمات قصائده، فقد أعاد المقدمات الجاهلية كالظلية، والغزلية، والظعن والطيف، وأضاف مقدمة جديدة ممكن أن نسميها مقدمة الرياح والمطر، تحدثنا عنها ضمناً.
  - 8- ومن الغريب أن يبرز غرض قديم جديد لدى شاعر اهتمامه ديني مذهبي وألا هو غرض الخمريات الذي نشأ في العصر الجاهلي وتطور على يد أبي نواس، لكن شاعرنا اهتم به كثيرا وأفرد لذلك قصيدة سماها محقق الديوان " هي الشمس".
  - 9- أسهب في ذكر مدينة الحلة وذكرها بأسمائها كالحلة الفيحاء، أو السيفية، أو المزدية، أو بابل، أو الجامعين الذي أخذ حيزا كبيرا من أشعاره فقد جاء ذكرها بهذا الاسم (5) مرات.
  - 10- ويبدو أن مزيد متأثر كثيرا بالشعراء الجاهلين فأغلب شعره سائر على نهجهم، ولاسيما في وصف رحلاته من الحلة إلى مدينة مصياف، فقد ثبت في شعره كل مدينة مرَّ بها ك(الحلة الفيحاء، صريفين، القليب، سامراء، تكريت، القليعة، البوازيج)، وإن لم يمرَّ بها يذكرها ويعطي لذلك مسوغاً ك(بغداد، الحدياء، ثل أعفر) تلك المدن كانت في العراق، أما في الشام(دنيسر، نصيبين، الرقة، بالس، حلب، وقويق، القناطر، سرمين، المعرة، جرثم، كفر طاب، شيزر) وذكر أودية (المنحوان، الغضا، الأراك، الحمى)، والأديرة (دير حافر)، وذكر الجبال منها على سبيل الحقيقة ك(الجودي) وأحيانا يذكر الجبل كرمز للشموخ الذي رسمه للمتصدين لعقيدته.
  - 11- أما فيما يخص التوصيات فأعتقد أن دراسة شعر مزيد في كل جانب تطلعننا على انتشار المذهب الاسماعيلي في العراق آنذاك، واستعماله الفنون الأدبية المختلفة بصياغة رقيقة وجميلة.

## المصادر:

أولاً: القرآن الكريم.

- ١- الأعلام: الزركلي(ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ٢- بغية الطلب في تاريخ حلب: ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- ٣- البلدان: اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٤- الجبال والأمكنة والمياه -الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)تحقيق: د/ أحمد عبد التواب عوض المدرس بجامعة عين شمس، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٥- ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق - إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٦م.
- ٦- ديوان مزيد الحلبي الأسدي، تحقيق-د.عارف تامر، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٧- سير أعلام النبلاء: ابن قايماز الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- ٨- الشعر والشعراء - بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ج.م.ع، ١٩٨٠، د.ط.
- ٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم- ابن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ١٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري(ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- ١١- العين: الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ط، د.ت.
- ١٢- لسان العرب: ابن منظور(ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- ١٣-المخصص: بن سيده(ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٤- المدح في الشعر الجاهلي رؤية جديدة - د.السعيد حامد شوارب، مج أجيال لخدمات التسويق والنشر والإنتاج الثقافي، الجيزة - مصر، ط٢، ٢٠٠٨م.
- ١٥- المسالك والممالك-عبد الله البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.
- ١٦-معجم البلدان: الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- ١٧-معجم متن اللغة - أحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٥٩م.
- ١٨-معجم مقاييس اللغة- ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- ١٩- الملل والنحل: الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. ط٢، ١٩٧٥م.
- ٢٠-مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي- د.حسين عطوان، دار المعارف - مصر، د.ط، ١٩٧٠م.
- ٢١-المنازل والديار: أسامة بن منقذ(ت ٥٨٤ هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، الطباعة: دار أخبار اليوم، الناشر: دار الصباح - القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- ٢٢- الوافي بالوفيات-الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.